

وكانت للسور القرآنية محتويات وأسماؤها وأسباب نزولها ومضمونها. في هذا الباب ستبحث الباحثة عن المذكورات وبعد ذلك، هذه نصّ سورة عبس لكي تعرف عن نزول سورة عبس في القرآن :

لما ختم الله سبحانه سورة النازعات بذكر إنذاره من يخشى القيامة افتتح هذه سورة عبس بذكر إنذاره قوماً يرجو اسلامهم وأعراضه عن يخشى،¹¹⁵ ومحتويات الآيات هي:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْغَى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزْغَى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَيْنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْمَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ

¹¹⁵. الشيخ أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، الجزء العاشر، دار الفكر بيروت-لبنان 1414 هـ - 1994 م، ص: 236

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ
 (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ
 الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)

الفصل الأول

تسمية سورة عبس

وأما تسمية هذه السورة سميت بسورة (عبس) لافتتاحها بهذا الوصف البشري المعتاد الذي تقتضيه الجيلة الإنسانية، ويغلب على الإنسان حينما يكون مشغولاً بأمرهم، ثم يطرأ عليه أمر آخر يصرفه عن الأمر السابق، ومع ذلك عوتب النبي صلى الله عليه وسلم على عبوسه تسامياً لقدره، وارتفاعاً بمنزلته النبوية.¹¹⁶

¹¹⁶. وهبة الزحيلي "التفسير المنير" (بيروت، لبنان: دار الفكر المعاصر بسنة 1411 هـ - 1991م) لجزء 29-30. ص423.

أنّ سورة عبس من السور المكية وآياتها ثنتان وأربعون، نزلت بعد النجم¹¹⁷، وهي تتناول شئوناً تتعلق بالعقيدة وأمر الرسالة، كما أنها تتحدث عن دلائل القدرة، الوجدانية في خلق الإنسان والنبات والطعام وفيها الحديث عن القيامة وأهلها، وشدة ذلك اليوم العصب¹¹⁸.

ابتدأت السورة بذكر قصة الأعمى عبد الله بن أم مكتوم ابن خال خديجة بنت خويلد الذي قدم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للتعلم، في وقت كان فيه مشغولاً مع جماعة من صناديد قريش يدعوهم إلى الإيمان، فعبس النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وأعرض عنه، فعانبه الله بقوله : {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (1)} إلى قوله تعالى (الآيات 1-16) وأبانت أن القرآن ذكرى وموعظة لمن عقل وتدبر.

ثم نددت بجحود الإنسان وكفره بنعم ربه وأعراضه عن هداية الله. { قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (17) } إلى قوله تعالى (الآيات 17-23).

وأردفت ذلك بإقامة الأدلة على قدرة الله ووجدانيته بخلق الإنسان والنبات وتيسير الطعام ابن آدم وشرابه، لإثبات القدرة على البعث: {قَلَيْنُظَّرَ الْإِنْسَانَ إِلَىٰ طَعَامِهِ (24)} إلى قوله تعالى (الآيات 24-32).

و ختمت السورة بوصف أهوال يوم القيامة، وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه، وبيان حال المؤمنين السعداء والكافرين الأشقياء في

¹¹⁷. احمد مصطفى المراغى، "تفسير المراغى". مصر ، 1974. ص 38.

¹¹⁸. محمد على الصابوني "صفوة التفاسير"، (بيروت ، دار القرآن الكريم، مجهول السنة 1986)، ص، 518.

هذا اليوم: { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) } إلى قوله تعالى (الآيات 33-42).¹¹⁹

وأما السيد القطب فقال في تفسيره *في ظل القرآن* أن هذه السورة قوية المقاطع ، ضخمة الحقائق ، عميقة اللمسات ، فريدة الصور والظلال والإيحاءات ، موحية الإيقاعات الشعورية والموسيقية على السواء. يتولى المقطع الأول منها علاج حادث معين من حواث السيرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم مشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام حينما جاءه ابن أم مكتوم الرجل الأعمى الفقير وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وعبس وجهه وأعرض عنه ، فنزل القرآن بصدر هذه السورة يعاتب الرسول صلى الله عليه وسلم عتاباً شديداً؛ ويقرر حقيقة القيم في حياة الجماعة المسلمة في أسلوب قوي حاسم ، كما يقرر حقيقة هذه الدعوة وطبيعتها : { كذَّبُوا } .



¹¹⁹ التفسير المنير، الجزء 29-30، ص 424.

فأما المقطع الأخير فيتولى عرض { الصاخة } يوم تجيء بهولها ،
 الذي يتجلى في لفظها ، كما تتجلى آثارها في القلب البشري الذي يذهل
 عما عداها؛ وفي الوجوه التي تحدث عما دهاها { :
 ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

إن استعراض مقاطع السورة وآياتها على هذا النحو السريع يسكب
 في الحس إيقاعات شديدة التأثير . فهي من القوة والعمق بحيث تفعل
 فعلها في القلب بمجرد لمسها له بذاتها. وسنحاول أن نكشف عن جوانب

و أبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب و أبيا وأمّية ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرّر النداء ولا يدري أنه مشغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله عليه وسلم لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين بكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه يقول: مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي.

أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المصاحفي، أخبرنا أبو نجم و محمد بن أحمد بن حمدان أخبرنا أبو يعلى، حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد، حدثنا أبي قال: هذا ما قرأنا على هشام بن عروة، عن عائشة قالت: أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ف جعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله رجال من عظماء المشركين، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين، ففي هذا أنزلت عبس وتولى، رواه الحاكم في صحيحه عن علي بن عيسى الحيرى، عن العتابي، عن سعد بن يحيى.

2. قوله تعالى: (لِكُلِّ أُمَّرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ) أخبرنا أبو سعيد

ابن أبي عمرو، أخبرنا الحسن بن أحمد الشيباني، حدثنا عبد الله بن

محمد بن مسلم، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سنان، حدثنا إبراهيم بن هراسة، حدثنا عائذ بن شريح الكندي قال: سميت أنس بن مالك قال: قالت عائشة لنبىّ صلى الله عليه وسلم: أنحشر عرارة؟ قال: نعم، قالت: واسوأته، فأنزل الله تعالى- لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.-.

وأما في كتاب مجمع البيان هو قيل: نزلت الآيات في عبد الله بن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه أتى رسول الله (ص) وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبياً وأمياً ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم فقال: يا رسول الله اقرئني وعلمي مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله (ص) لقطعه كلامه، وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين اديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله (ص) لقطعه كلامه، وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات، وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين. وقال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء. قال المرتضى علم

الهدى قدس الله روحه: ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها إلى النبي (ص)، بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، وفيها ما يدل على أن المعنى بها غيره، لأن العبوس ليس من صفات النبي (ص) مع الأعداء المباينين فضلا عن المؤمنين المسترشدين، ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة، ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه (ص): { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } وقوله: { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }، فالظاهر أن قوله عبس وتولى المراد به غيره، وقد روي عن الصادق (ع) أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي (ص) فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقدر منه وجمع نفسه وعيسى وأعرض بوجهه فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه، فإن قيل: فلو صح الخبر الأول هل يكون العبوس ذنبا أم لا؟ فالجواب: أن العبوس والانبساط مع الأعمى سواء إذلا يشق عليه فلا يكون ذنبا، فيجوز أن يكون عاتبا الله سبحانه بذلك نبيه (ص) ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق، وينبّه بذلك على إيمانه أولى من تأليف المشرك ظمعا في إيمانه.

وقال الجبائي: في هذا دلالة على أن الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي، فأما في الماضي فلا يدل على أنه كان معصية قبل أن ينهى عنه، والله سبحانه لم ينهه إلا في هذا الوقت. وقيل: إن ما فعله الأعمى نوعا من سوء الأدب فحسن تأديبه بالإعراض عنه، إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه أعرض عنه لفقره وأقبل عليهم لرياستهم تعظيما لهم، فعاتبه الله

سبحانه على ذلك. وروي عن الصادق (ع) أنه قال: {كان رسول الله (ص) إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال مرحبا مرحبا لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً، وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكفّ عن النبي (ص) مما يفعل به}.¹²²

وأما عند إسماعيل حقي بين سبب النزول سورة عبس هو: روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في مكة وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمّية بن خلف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، لأن عادة الناس أنه إذا مال أكابرهم إلى أمر مال إليه غيرهم كما قيل: الناس على دين ملوكهم فقال له: يا رسول الله، علمني مما علمك الله أنتفع به. وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله-عليه السلام-بالقوم إذ السمع لا يكفي في العلم بالتشاغل بل لا بد من الإبصار، على أنه يجوز أنهم كانوا يخفضون أصواتهم عند المكالمة، أوجاء الأعمى في منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعاً لكلامه واشتغاله به عنهم وعبس وأعرض عنه فرجع ابن أم مكتوم محزوناً خائفاً أن يكون عبوسه وإعراضه عنه إنما هو لشيء أنكره الله منه، فنزلت.¹²³

ومن هذا البيان الذي يبينه عن أسباب نزول أية من آيات سورة عبس في الفرصة هذه لخصت أن معرفة، و في بيان اسباب النزول

¹²² . مجمع البيان في تفسير القرآن، الجزء العاشر، ص: 238-239

¹²³ . إسماعيل حقي الروسي، تفسير روح البيان، المجلد العاشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1137 هـ، ص: 383

سورة عبس تبين عن بدليل الألوهية، أحول الناس في يوم القيامة و خصوصا في دعوة الإسلامية فيجب على الداعي لا يفرق بين الغني و الفقير و لعنة الله على من يخالف نعم الله.

الفصل الثالث

مضمون سورة عبس

أن هذه السورة كانت متضمنة عن العقيدة و الرسالة و الأخلاق التي قوامها في الإسلام المساواة بين الناس، دون تفرقة بين غني و فقير،¹²⁴ وفيها الحديث عن القيامة وأهلها، وشدة ذلك اليوم العصيب.¹²⁵ وما يكون يدلّ ذلك مضمون سورة عبس وهي كما يلي:

(1) الآية عتاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في

إعراضه و توليه عن عبد الله بن أم مكتوم، حتى لا تنكسر قلوب

الفقراء، وليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني.¹²⁶

(2) القرآن الكريم كتاب تذكرة وموعظة وتبصرة الناس جميعا،

فمن أراد اتعظ بالقرآن وانتفع به وعمل بموجبه. وهذا دليل على

حرية الاختيار.¹²⁷

(3) أمر الله تعالى بالنظر والاستدلال والتدبر إلى الطعام الذي

يتناوله الإنسان، ويعيش به، كيف دبّر الله أمره، من إنزال الماء

¹²⁴ .التفسير المنير لجزء 29-30. ص 424

¹²⁵ .صفوة التفاسير، ص، 518

¹²⁶ .التفسير المنير لجزء 29-30. ص 430

¹²⁷ نفس المرجع، التفسير المنير لجزء 29-30. ص 436

من السماء، ثم شق الأرض بالنبات أو بالحراثة على الدواب أو بالآلات، وإخراج أنواع النبات المختلفة.¹²⁸

(4) إذا جاءت صيحة القيامة وهي النفخة الثانية أو الأخيرة، والتي يهرب في يومها الأخ من أخيه، والولد من والديه، والزوج من زوجته وأولاده، لاشتغاله بنفسه، يكون لكل إنسان يومئذ حال أو شغل يشغله عن غيره.¹²⁹

(5) يكون الناس يوم القيامة فرقين: فريق وجوههم مشرقة مضيئة، مسرورة فرحة مستبشرة بما آتاها الله من الكرامة، قد علمت مالها من الفوز والنعيم، وهي وجوه المؤمنين. وفريق وجوههم يعطوها غبار ودخان تغشاها ظلمة وسواد، وهي وجوه الكافرين بالله وبرسوله، العاصين الكاذبين المفترين على الله تعالى.¹³⁰

لهذه السورة تعلق بما قبلها وهي النازعات، لأنه تعالى ذكر هناك أن النبي صلى الله عليه وسلم منذر من يخشى الساعة، وهنا ذكر طن ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيهم في أمر الإسلام ويدعوهم إليه، زهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل و العباس بن عبد المطلب وأممية بن خلف والوليد بن المغيرة. كما أن بينهما تشابها في موضوع الحديث عن اليوم القيامة وأهلها، وإثبات البعث بمخلوقات الله في الإنسان والكون، فهناك وصفت القيامة بقوله تعالى:

¹²⁸ نفس الرجع، التفسير المنير، لجزء 29-30، ص 440

¹²⁹ نفس الرجع، التفسير المنير، لجزء 29-30، ص 446

¹³⁰ نفس الرجع، التفسير المنير، لجزء 29-30، ص 446

{فإذا جاءت الطمة الكبرى (34)} وهنا وصفت بقوله سبحانه: {فإذا
جاءت الصاخة (33)} وهما من أسماء يوم القيامة. وهناك أثبت الله
البعث بخلق السماء والأرض و الجبال،وهنا أثبتته بخلق الإنسان والنبات
والطعام.¹³¹

فلذلك أن تلخيص مضمون هذه السورة أي عبس هو التبيان عن
أمر الله على رسول الله صلعم حين يعرض الأعمى عبد الله بن أم مكتوم
الذي مشغولا بالدعوة إلى الكفار. ذكر الناس عن موضوعه، خلقه، سهولة
حياته ومن يحيه و يميته و تنبيه لناس من يخالف ما أمر الله. وأحوال
اليوم القيامة.

¹³¹. نفس الرجوع، التفسير المنير، لجزء 29-30. ص 423-424